التربية فى المسجد والكتاب (الخلوة)

بحث مقدم لندوة الخبـــــــــــــراء
التربويين المنعقـــــــــدة فـــــى
مكة المكرمة
بين ١١-١٦/٦/١٤٠٠ هـ.

بقـــلم

الدكتور/ عبدالله الشيخ البشـــــير
المجلس الاعلى للآداب والفنـــــــون
الخرطوم – الســـــودان

بسم الله الرحمن الرحيم

سيكون حديثى مقصورا على المسجد فى السودان ، والآثار التى تركها ،لان دور المسجد هناك يكشف عن قدرته الخارقة على تغيير المجتمعات البدائية وصقلها ، وصياغتها وفق مثله العليا .

لقد كان السودان قبل ظهور المسجد مجهلا من مجاهل أفريقيا تعيش فيه قبائل شتى وعروق مختلفة متنافرة لايجمع بينها جامع من دين ولا لغة حتى ظهر المسجد فبدد تلك الظلمات وجمع شمل تلك القبائل ووحدها بالاسلام ولغة العرب هذا هو أثر المسجد فى السودان على وجه الاجمال ، أما التفصيل فعلى الوجه الآتى :-

المد الاسلامى الاول وظهور المسجد :

تدفقت جيوش المسلمين عبر برزخ السويس على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى مصر حيث دخل الناس فى الاسلام وبنى مسجد الفسطاط الذى صار الى جانب العبادة مقرا للتعليم والمدارسة ثم اتجهت فرقة من الجيش جنوبا بقيادة عبدالله ابن أبى السرح وتوغلت فى حدود السودان الشمالى ووصلت "دنقله العجوز" عاصمة مملكة النوبة المسيحية فحاصرتها واضطر ملكها الى طلب الصلح فتم له ذلك بشروط وأهم هذه الشروط هى التى تتعلق بالمسجد الذى بناه المسلمون هناك ونصه كالآتى :-

" وعليكم حفظ المسجد وكنسه واسراجه وتكرمته وألا تمنعوا عنه مصليا" فكان هذا المسجد أول منارة أخذت ترسل أشعتها عبر تلك المجاهل وعلى ضوئها أخذ الاسلام يتسرب شيئا فشيئا الى القلوب فانجذبوا نحوه ونبذوا الوثنيه والمسيحية وانخرطوا فى سلك الاسلام وقام حكم اسلامى أزال تقاليد الحكم القديم وحرر المواطنين من عبودية ملوكهم وساوى بينهم وبين اخوانهم العرب فى الوضع الاجتماعى . وبرز من أبناء النوبة علماء وفقهاء منهم يزيد ابن أبى حبيب الذى تعمق فى العلوم الاسلامية وأخذ عن صحابة الرسول الذين شهدوا فتح مصر ومنهم أبو الفيض ذوالنون المصرى الصوفى المعروف .

لنترك المسجد الاول فى " دنقلة العجوز " وهو يعمق الاسلام فى الاقليم الشمالى ونتتبع سير القبائل العربية التى دخلت الى وسط السودان من جهات مختلفة باحثة عن وطن جديد . بعضها استقر على ضفاف النيل وبعضها آثر البادية الواسعة وقد انقطعت صلتهم بأصولهم وابتعدوا عن تأثير المسجد وهدايته حوالى تسعة قرون فنسوا كثيرا من تعاليم الاسلام وظلوا يعانون من ظمأ روحى غلاب اذ افتقدوا الداعية الذى يصلهم بذلك النبع الروحى الذى يراودهم ، ولم يبق لهم منه الا كلمة التوحيد .

المد الاسلامى الثانى وظهور المسجد والخلوة :

وبينما الناس على هذه الحالة ظهرت دولة سنار الاسلامية ، ومؤسس هذه الدولة عمارة دونقس من مجموعة تسمى الفونج والخلاف مازال قائما بين المؤرخين حول أصل هذه العائلة ومن أين جاءت لكن المتفق عليه أنهم مسلمون ويهمنا من قيام

هذه الدولة التى تحالفت مع القبائل العربية هناك أثرها على المسجد فيها فبمجرد ظهورها فى مطلع القرن العاشر الهجرى تسامح بها المسلمون وأقبل عليها العلماء من الحجاز ومصر والمغرب ورحبت الدولة بهم أيما ترحيب وشجعتهم على نشر الاسلام وتعاليمه فانبثوا فى القرى يقيمون المساجد والخلاوى . والتف حولهم الناس .

المؤرخ السودانى الشيخ محمد ود ضيف الله يصور حاجة الناس الى الهداية وظهور الدعاة فى تلك الفترة فى كتابه (الطبقات) خير تصوير حيث يقول :- " وأعلم أن الفونج ملكت أرض النوبة وتغلبت عليها أول القرن العاشر الهجرى ولم يشتهر فى تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن ويقال أن الرجل كان يطلق المرأة ويتزوجها غيره فى نهارها من غير عدة حتى قدم الشيخ محمود العركى من مصر وعلم الناس العدة وسكن البحر الابيض (النيل الابيض) ويمضى الشيخ ود ضيف الله الذى أرخ للحياة الروحية والفكرية فى السودان واصفا ظهور الدعاة فيه :

"وفى أول النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى ولى السلطان عمارة أبو سكيكين الشيخ عجيب المانجلك ففى أول ملكه قدم الشيخ ابراهيم البولاد من مصر الى دار الشايقيه ودرس فيها العلم " خليل والرسالة " وانتشر علم الفقه فى الجزيرة ثم بعد ذلك قدم الشيخ تاج الدين البهارى من بغداد وأدخل طريق الصوفية فى دار الفونج ثم قدم التلمسانى المغربى على الشيخ محمد ولدعيسى سوار الذهب وسلكه طريق القوم وعلم الكلام وعلوم القرآن من تجويد وروايات ونحوها وانتشر علم التوحيد فى الجزيرة " . هذا وكان قد قدم قبل هؤلاء رواد أمثال الشيخ غلام الله بن عايد الذى نزل فى دنقلة فعمر المساجد وقرأ القرآن وعلم العلوم لاولاده وأولاد المسلمين . والشيخ حمد أبو دنانه المغربى الذى قدم للسودان فى أواخر القرن التاسع الهجرى وأقام ببلاد الجعليين بالمحمية وبنى مسجدا " هؤلاء وغيرهم كثير . وهم كما ترى خليط من الفقهاء وقراء القرآن والمتصوفة وحالما وصل هؤلاء الدعاة وأختلطوا بالسكان بنوا المساجد كل فى مكانه الذى نزل به وأخذوا يشرحون للناس أمور دينهم مبينين لهم مايتعارض مع موروثيهم من عادات وثنيه وتقاليد جاهلية " .

واهتموا أولا بتعليم النشء مبادىء الكتابة والقراءة وتحفيظ القرآن والتوحيد والفقه وتنافسوا فى ذلك فتخرج عليهم جيل من العلماء والقراء السودانين وهم بدورهم انتشروا فى القرى على النيل ومنهم من ذهب الى البادية لتعليم الرعاة فانشأوا المساجد والخلاوى وكلما تخرج عليهم نفر دعوه الى أن يبحث عن مكان لم تطه الدعوة ليبنى فيه المسجد والخلوة .

وهكذا دواليك حتى تكاثرت المساجد وأماكن التعليم وكان الفقيه أوالمقرىء أو الصوفى الذى يرتاد الاماكن الوعرة يلقى ثناء واعجابا من الناس فيطلقون عليهم ألقاب الابطال .

وهذه قصة تبين لك مدى ما يلاقونه من مشاق وهم يتتبعون البداة في الصحراء (رأى الشيخ حسن ود حسونه أن يبني مسجدا فذهب الى قبيلة بدوية تعيش في مكان مقفر لم تصلها الدعوة فذهب اليهم وأقام معهم أياما حتى تألفهم ولما أراد بناء المسجد لم يجد الماء اللازم للبناء وتغلب على هذه العقبة بأن اقنع البدو أن يجلبوا الماء من نهر بعيد عبر الصحراء واختار لذلك أربعين بعيرا نصفها يرد الماء ونصفها يصدر عنه وهكذا في حركة دائبة حتى أن الطريق الصحراوي بينه وبين مكان المسجد اخضر بالاعشاب مما كان يتقاطر عليه من وشل القرب . وبنى المسجد وتسامع به الناس وتقاطر عليه الطلاب واستوطن حوله كثير من البدو وما يزال مكانه عامرا ولقب برجل (الضّي) أى المكان المقفر .

بجهود هؤلاء صار السودان ذالك القطر المتعدد الاجناس والاعراق أمة مسلمة عربية اللسان .

الخلوة (الكتّاب) :

في البدء كان المسجد والخلوة شيئا واحدا بمعنى أن المسجد كان هو مقر العبادة والتوجيه وتعليم القراءة وتحفيظ القرآن وكل مايتصل به من شئون الدين والدنيا فلما اقتنع الناس بجدوى المسجد وأثره على حياتهم ووجدانهم عرفوا قيمته فدفعوا بأولادهم اليه ولما تكاثر الطلاب بدرجة لايمكن معها المحافظة على آداب المسجد كما أمرت به السنه كالنظافة وعدم الصخب فيه الى آخر الآداب المعروفة اقتضى الامر أن تنشأ حجرة واسعة تكون لصق المسجد تضطلع بتعليم النشء الكتابة والقراءة وتحفيظ القرآن وتكفل المسجد الى جانب الصلوات والمواعظ بتعليم التوحيد والفقه والتفسير ، والاحاديث والفنون العربية . فصارت الخلوة مرحلة أولية ، والمسجد مرحلة ثانوية وكان لانشطار الخلوة عن المسجد أثر بعيد في انتشار التعليم الديني لامكان اقامتها بعيدا عن المسجد في القرى الصغيرة وفي مضارب الخيام وقد تنتقل مع البدو الرحل حين يريحون وحين يسرحون وعلى سفوح الجبال وداخل الغابات . ذلك لبساطتها وقلة تكلفتها فهي لا تكلف طلابها مشاق الترحيل لانها تأتيهم في أماكنهم ولاتكلف الناس نفقات تأسيسها فقد تقام في خيمة أو عريشة وقد تكون ظل شجرة يتخذون من فروعها ألواحا ومن صمغها وفحمها مدادا . وسرعان ما يلتف الناس حولها يسترشدون بشيخها في جميع أمورهم الدينية والدنيوية .

التعليم في الخلوة :

١- يقبل الطفل في الخلوة اذا بلغ الخامسة وهي أدنى سن وأعلاها لا حد له فقد يدخلها في سن الاربعين فصاعدا ان الخلوة تتيح فرص التعليم للطالب بغض النظر عن عمره وفي أى وقت يشاء .

٢- رغم أن الطلبة يجلسون كلهم فى فصل واحد فانهم يمثلون ثلاث مراحل :

أ - المبتدئون وهم فى مرحلة تعلم الحروف الهجائية .

ب- الذين عرفوا كتابة الجمل .

جـ - الوكلاء وهم المتفوقون وهؤلاء ينوبون عن الشيخ فى تعليم المبتدئين.

٣- تبدأ الدراسة فى الفجر حتى يرتفع الضحى وهى الحصة الاولى وتبدأ الحصة الثانية بعد صلاة الظهر وتنتهى بصلاة العصر وتبدأ الثالثة بعد صلاة المغرب وتنتهى بصلاة العشاء . فى الحصة الاولى يمحو الطلاب الذين حفظوا الواحهم ثم يجلسون أمام الشيخ يملى عليهم جديدا فاذا فرغوا من ذلك انصرف الوكلاء الى تعليم المبتدئين وفى الحصة الثانية يصحح الشيخ للطلبة ألواحهم واحدا واحدا ثم ينخرطون فى حفظ الالواح بأصوات عالية حتى يؤذن الى العصر أما الحصة الثالثة فمقصورة على حفظ الالواح لعرضها غيبا أمام الشيخ فمن أتقن الحفظ سمح له بمحو لوحه غدا ومن لم يحفظ أرجىء حتى يحفظ .

تلك هى الحصص التى يحضرها جميع الطلاب وهناك حصة اخرى تبدأ بعد صلاة العشاء حتى السحر . يستذكر فيها الطلاب الكبار ماحفظوه تلاوة فيتفرقون خارج الخلوة طلبا للعزلة فى الامكنة الهادئة . ولاصواتهم فى جوف الليل دوى كدوى النحل .

٤- تتوقف الخلوة عن الدراسة يوم الجمعة من كل أسبوع وبعد العيدين لمدة أسبوعين .

التربية فى الخلوة :

١- الاخلاق :

لما كانت رسالة الخلوة هى جزء من رسالة المسجد التى هى فى جوهرها تحلية الانسان بالاخلاق الفاضلة التى أكدها الرسول العظيم فى قوله (انمابعثت لاتمم مكارم الاخلاق) اهتمت الخلوة بهذا المبدأ كركيزة لفلسفتها .

والاخلاق فى نظر الخلوة هى التمسك بمقاصد الدين . لاحظ ربطها لاوقات الحصص بأوقات الصلاة فالطالب يؤدى الصلوات الخمسه منذ نعومه أظفاره فيترسخ فيه أهم أركان الاسلام بعد الشهادتين . واذا لحظنا التكليف لكبار الطلاب بان ينتشروا بعد صلاة العشاء ويتهجدوا بالقرآن الى السحر والشيخ يمر عليهم خفية يستمع الى تلاوتهم نجده يمثل قدوة بالحفظة من أصحاب رسول الله . حين كان النبى صلى الله عليه وسلم يمر عليهم ليلا فيسمع لهم دويا كدوى النحل فقد أخرج البخارى عن أبى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنهما (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : لو رأيتنى البارحة وأنا اسمع لقراءتك ؟ لقد أعطيت مزمارا من مزامير داود) (وفى رواية مسلم قال أبو موسى لوعلمت والله يارسول الله انك تستمع لقراءتى لحبرته لك تحبيرا) وفى الشيخين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أنى لأعرف رفقة الاشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالليل بالقرآن وان كنت لم أر منازلهم بالنهار).

لاحظ مدى تطبيق هذه الصورة فى منهج الخلوة لتربط الناشئة بمصادر الاسلام

الاولى . وتأكيدا لهذا المنهج فان الطالب منذ دخوله الخلوة الى أن يتخرج فيها لايتعلم شيئا غير القرآن كتابة وقراءة أى أنه يتعلم الاملاء بآيات من القرآن لا بواسطة حكمة أو مثل أو قصة أو نحوها سواء أكان ذلك فى المفردات أو الجمل ، ذلك ليكون الطالب مشدودا الى القرآن حسا ومعنى لايشغله عنه شىء آخر حتى يتم حفظه وليكون مؤهلا لنسخ القرآن لتكاثر المصاحف . ويدخل ضمن هذا المنهج منهج ربط الناشئة بالاسلام كجامع للاخلاق تلك المواعظ التى يلقيها الشيخ عقب كل انتهاء حصة بدلا عن الجرس والصفارة التى تأخذ بها الآن فى مدارسنا النظامية وهى تشتمل على أدعية وتوجيهات مثل (اللهم علمنا علما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وعملا مقبولا وتجارة لن تبور ويردفهابقوله) - (اطع والديك .. زر جارك .. أكرم المسكين .. أرشد العميان .. وقّرالكبير .. أرحم الصغير .. لاتكذب .. لاتسح بالفتنة بين الناس .. لاتأخذ حق الغير..) ففى الدعاء الاول يجيبونه بآمين وفى التحذير الثانى يجيبونه (أطعنا) ان مثل هذه الموعظة السهلة والمشتملة على مبادىء الاخلاق الفاضلة تأخذ طريقها الى وجدان الناشئة وتستقر فيها فتوجه سلوكهم فى حاضرهم ومستقبلهم .

من هذه الملاحظات يظهر لنا أن التلميذ فى الخلوة يحاط بجوّ دينى خالص أحكم بعناية فائقة وأعد باخلاص كبير .

٢- التربية العمليـــة :

أعنى بالعمل تنمية النوازع الخيرة فى الانسان التى تجعله يسهم فى العمل من أجل الآخرين ولما كانت الخلوة لاتستند الى عون حكومى فى كثير من الحالات بل تعتمد أساسا على العون الذاتى أتيح لها أن تستنبط من هذا الواقع قواعد تربوية تطبقها على طلابها عمليا لان العون الذاتى تعاون بين الناس والاسلام حث على التعاون فى أعمال البر . وتطبيقا لذلك فقد جعلت أعمالها تتم عن طريق التعاون والمشاركة الجماعية ويسمى هذا التعاون (النفير) . فالكبار يعلمون الصغار ويتم كنس الخلوة بمشاركة الجميع كما يتم جمع الحطب للاضاءة وزرع الاراضى المخصصة للخلوة وحصدها واحضار الماء بالتعاون الكامل ، وتمتد روح التعاون فتشمل مساعدة الآخرين من المساكين والضعفاء فيشاركهم الطلبة فى بناء ديارهم وصيانتها ويساعدونهم فى المزارع وفى كل مايحتاجون اليه من غير مقابل . وذلك بغية اعدادهم لتحمل هذه الرسالة مستقبلا كدعاة اسلاميين ،ويدخل ضمن هذا النطاق رياضتهم على التقشف والتواضع والمبادرة فيلبسون خشين الثياب وينتدبهم الشيخ الى مهمات شاقة . فما من طالب يبدو عليه الميل الى الدعة فى مأكله أو ملبسه أو يظهر عليه شىء من التعالى أو كلف بشىء فتقاعس عنه الا نالته عصاء المعلم . وتأكيدا لهذا الغرض كانوا يطلقون عليهم لقب (الفقراء) .

٣- التربية البدنيـــة :

ليس للخلوة رياضة بدنية معينة يمارسها الطلاب ولكنها لاتمنعهم من ممارسة الالعاب الشعبية كالفروسية والعدو والمصارعة والسباحة فى أوقات فراغهم مادامت

تتم فى جو بعيد عن التخاصم والاذى . هذا الى جانب الاعمال البدنية التى يتعاونون عليها كما ذكرت .

٤- التربية الفنية :

الخلوة لاتبيح الاغانى لطلابها الا ماكان دينيا وليس فيها من الفنون التشكلية الا (الشرافه) وهى تزويق اللوح باللونين الاحمر والاسود اذا وصل الطالب المبتدىء الى سور معينةوهى سورة (البينة) فسورة (الأعلى)فسورة (النبأ) فسورة (الملك) فسورة (المجادلة) فاذا وصل الطالب الى أى من هذه السور حق له أن يزخرف لوحه فيدخل السرور الى نفسه فيحفزه الى الامام وفى هذه الحالة يسمح له أن يأخذ معه لوحه الى بيته تشريفا له فيقابله أهله هذا الحدث بمزيد البهجة ويذبحون له الذبائح . والاطفال يحبون التزاويق فتراهم يجتهدون كل الاجتهاد ليبلغوا تلك السور . فالفن هنا على بساطته موجه توجيها تربويا فى غاية الاهمية .

ونلاحظ أن(الشرافة) تنتهى فى سورة المجادلة لان الطالب الذى يكون قد قرأ الثلاثة الاجزاء الاخيرة يكون قد نضج وأخذ يندفع ذاتيا من غير حاجة الى دافع خارجي .

الخلوة فى وجدان الشعب :

يعزى النجاح الذى حققته الخلوة والمسجد فى السودان الى احتضان الشعب لهما ومدهما بالعون والمناصرة ماديا ومعنويا وأهم من هذا تعاونه معهما فى تحقيق المقاصد المرجوة وذلك بالمشاركة الفعاله فى المراقبة على سلوك الطالب . فما يتلقاه من تأديب وتثقيف فى الخلوة أو المسجد يخضع لرقابة المجتمع خارجهما ، ويؤاخذ من قبل افراد المجتمع اذا انحرف عن الخطة المرسومة – كل ذلك مع كثير من الحب والاشفاق لانهم يعلقون عليه آمالا كبارا .

أهداف الخلوة :

للخلوه هدف عام وأهداف خاصة أما الهدف العام.فهو هدف المسجد الذىيتلخص فى صياغة الانسان المسلم المتكامل ظاهرا وباطنا أما الاهداف الخاصة بها فنجملها فى الآتى :-

١- محو الامية .
٢- تخريج قراء لتحفيظ القرآن فى الخلاوى .
٣- تخريج طلاب للمساجد لدراسة علوم الشريعة واللغة .

وقد حققت الخلوة كل هذه الاهداف فتكاثرت الخلاوى بتكاثر الحفاظ وعمرت المساجد بطلاب العلم وزاد عدد العلماء والدعاة .

النتائج التى حققها المسجد والخلوة فى السودان :

مرة اخرى أقول أن تجربة المسجد فى السودان تعتبر فريدة فى نوعهـا من حيث المكان والزمان والمجتمع .

فالمكان مجهل من مجاهل افريقيا السوداء ظل مجهولا لازمان عديدة والزمان يبدأ من القرن العاشر الهجرى حيث تفككت وحدة المسلمين فضعفوا وانحسر ملكهم عن الاندلس اما المجتمع فكما ذكرت سابقا فيتألف من شعوب وقبائل بدائية متباينة لاتجمعها رابطة لسان ولاتوجد بينها عقيدة ولايعرف بعضها بعضا تعيش فى عزلة قاتلة عن العالم المتحضر فما الذى حققه المسجد للاسلام أمام هذه العوائق ؟ ففيما يتعلق بالمكان استطاع المسجد اقتحام تلك المجاهل المخوفه وضمها الى بلاد المسلمين وعوضهم عن بعض ما افتقدوه فى الاندلس .وفى المجال الزمنى جعل جذوة الاسلام متقده وحركة التبشير مستمرة ونشطة رغم الركود الذى أصاب العالم الاسلامى فى ذلك الزمن . أما من جهة تأثيره فى المجتمع فقد جمع تلك العناصر المتنافرة ومزج بينها ووحدها بلا اكراه وأخرج منها امة اسلامية لها دولة تنفذ أحكام الله . وأعد المسلمين للجهاد فوقفوا فى وجه الهجمة الاوربية التى شنت على ديار المسلمين فى القرن التاسع عشر الميلادى وردتها على أعقابها .

تم للمسجد كل هذا لان الدعاة كانوا يدركون الطاقة الروحية الهائلة فيه والمقاصد الانسانية التى يستهدفها فلم يمكنوا منه من يريد تحويله عن غايته فكانت له الكلمة العليا فى جميع الشئون وجعلوا منه ملاذا للفقراء .. والمستضعفين وحققوا به المساواة التى يريدها الله بين الناس لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى ، فتحققت الاخوة بين تلك العناصر المتباينة .

المسجد والخلوة اليوم :

بسقوط السودان فى حكم الاستعمار الانجليزى فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى وزوال الدولة الاسلامية فيه أنتهى العهد الذى كانت التربية فيه وقفا على الخلوه والمسجد لايشاركها فيه مشارك . وكان أول ماهدف الاستعمار اليه هو تقويض الركائز التى ثبتها المسجد وهى العقيدة - واللغة والتاريخ وفى سبيل تحقيق هذا الغرض أنشأ نظاما تعليميا ووضع له فلسفة تحقق له أغراضة فبدأ بمحاربه خلاوى القرآن بانشاء مدارس أولية حولها أحاطها بكل عناية وحبب الناس فيها بالوظائف فانجذبوا نحوها تحت تأثير الاغراء المادى وحرم خريجى الخلوة من أى امتياز فأخذت الخلاوى تغلق أبوابها تباعا فقد هجرها طلابها الى المدرسة ولم يمض عليها ربع قرن من الزمان حتى توقفت ولم يبق منها الا قليل ثم اتجهوا الى المساجد وحرموا خريجيها من أن يشغلوا أى وظيفة ومن يسعده الحظ ويشغل وظيفة يعامل بطريقة ظالمة ، وظل المسجد يقاوم رغم كل ذلك فيمد التعليم الدينى بالمدرسين على مدى نصف قرن ولكن الناس بدأوا يعرضون عنه لانهم ايقنوا ان لامستقبل لمن يسلك هذا الطريق فضنوا

بأبنائهم عليه فتوقف التدريس فجأة فى مائة وثلاثين معهدا كانت متقدة على مدى خمسمائة عام ونتج عن هذا الوضع أن أصبح مدرسى التربية الاسلامية واللغة العربية نادرا مهددا بالانقراض فى الوقت الذى أخذت تنتظم العالم الاسلامى صحوة شاملة بأمل منها للاسلام والمسلمين عزة وكرامة لقد شعرنا بالخطر الذى يهدد التعليم الدينى خصوصا ونحن نقرأ احصائيات الجامعة العربية وهى توضح النقص الكبير فى معلمى الدينى واللغة . ومما لم تلتفت الامة الاسلامية الى هذا الخطر وتتداركه بجدية واخلاص فان مصير الاجيال المقبلة سيكون مؤسفا وبذلك يتحقق لاعداء الاسلام غرضهم الذى أعدوا له بذكاء وخبث وروية . ان أعداء الاسلام لايخشون المسجد من حيث هو مكان للعبادة فقط ولكنهم يخشونه مكانا لحفظ القرآن وتعليم الشريعة الاسلامية أى أنهم يخشون التعليم الدينى المستمر الذى يخلق الوعى فى الناشئة . انهم لايأبون علينا أن تكون المساجد مكان عظة ففى الاتحاد السوفيتى مساجد ولها أئمة ولها أذان وفى انجلترا وأمريكا كذلك .

ما العمل :

" أن نكون أولا نكون هذه هى القضية " كما قيل ،فاما أن نكون امة شاعرة بأن لها رسالة تؤديها فى هذا العالم ولها حضارة أسهمت بها فى بناء الحضارة الحديثة أو لا نكون فان كانت الاولى فلا بد لنا من ايجاد معادلة تربوية تعليمية تكون نتيجتها ايجاد صيغة يتحقق بها الجمع بين تراثنا وحاجتنا الى مطروحات العصر الذى نعيش فيه .

ان مايطرحه العصر الحديث هو الحضارة المادية وأننا لفى حاجة اليها فى تدبير معاشنا وحماية ديارنا واستثمار مواردنا الطبيعية بحيث لايكون ذلك فى مقابل التنازل أو الاهمال للجانب المهم المتمثل فى عقيدتنا وآدابنا وتقاليدنا النافعة التى نتميز بها عن غيرنا والتى نحن بها أمة .

لذا يصبح التعليم الدينى ضرورة كما أن التعليم المدنى ضرورة الا أن ضرورة التعليم الدينى أشد فتجب العناية به أكثر ذلك لان التعليم المدنى مادى غايته مهما بولغ فى أهميتها تيسير الحياة المعيشية ومن هذه الناحية فالناس اليه أميل بحكم الغرائز التى أودعها الله جلت قدرته فى الكائن الحى يهتدى اليها تلقائيا لكن التعليم الدينى غايته روحية انسانية تهدف الى ترشيد علاقات الانسان بالله والمجتمع . وقد تخفى هذه الحقيقة العليا على أكثر الناس تحت وطأة حاجاتهم المادية الملحة من هنا فهم فى حاجة الى التذكير ومن هنا ندرك الحكمة فى أن الله تعالى لم يجعل مهمة رسله وأنبيائه الاساسية هى تعليم الناس كيف يدبرون معيشتهم فهم أعلم بأمور دنياهم لذلك فلا بد من عمل كبير يمكن للمسلمين فى الارض وهم يستقبلون القرن الخامس عشر الهجرى الذى سيكون مليئا بالتحديات والمفاجآت التى لن يعصمنا منها عاصم غير ديننا .

خلاصـــــــــــــــــه :

١- قصرت هذا البحث الموجز عن التربية فى المسجد والخلوة على الســـــودان لان الامة السودانية تعتبر هبة المسجد وحده فهو الذى أخرجها من ظلمـــــات البدائية والوثنية الى الاسلام والحضارة وهوالذى جمع عناصرها المتنافـــرة وصاغها صياغة جديدة بالمحبة والاقناع بالموعظة الحسنه .

٢- وتعرضت لظهور المسجد فى تلك الاصقاع الواسعة الارجاء فذكرت أن ذلك الانجاز المعجز تم نتيجة مدين من بحر الاســـلام العظيم جاء المد الاول على أثرتدفـــق الجيوش الاسلامية فى مصر على عهد الخليفة عمر بن الخطاب فتوغلت فرقة مـــن جيش المسلمين فى حدود السودان الشماليه الى دنقله عاصمة دولة النوبـــة المسيحية وحاصرتها فطلب ملكها الصالح فأجيب اليه بشروط من أبرزها اقامـــة المسجد وذكرت أن هذا المسجد كان سببا فى دخول مسيحيى تلك الدولة فـــى الاسلام ثم تحدثت عن المد الاسلامى الثانى الذى نشأ عن تدفق العلماء ودعـــاة الاصلاح من المغرب عندما جلوا عن الاندلس ومن مصر والحجاز وذكرت أثر دولـــة سنار الاسلامية فى تشجيعها لاولئك العلماء وتكريمهم فانتشروا فى أنحـــاء السودان وبنوا المساجد والخلاوى ونشروا الاسلام فى القبائل السوداء وفـــى القبائل العربية التى كانت قد نسيت الدين فى غمار بحثها عن وطن جديد .

٣- وتعرضت لطرق التربية فى المسجدو الخلوة فى ذلك العهدومدى نجاحها فى ربط الطالـــب بالديـــن .

٤- وذكرت الصراع الثقافى الذى دار بين المسجد والخلوة من جهة ومدارس الاستعمار من جهة ، وقلت ان نتيجة الصراع لم تكن فى صالح التعليم الدينى لان الاستعمار استطاع أن يعزله عن الحياة ولم يجد خريجوه ذلك التقدير الذى كانوا يجدونه من قبل ولم يتح الاستعمار الوضع الوظيفى الذى به يعيشون فانصرف النـــاس عن المسجد وانشغل الشباب ببريق الحضارة المادية .

٥- ووضحت النتائج التى حققها المسجد والخلوة فقلت انه كسب أرضا فسيحـــة للمسلمين وأضاف شعوبا جديدة الى حظيرة الاسلام وبنى جسرا بين المسلميـــن والقارة الافريقية .

وخرجت من هذا الدرس بالآتـــى :

أ - اننا نفلح حيث يفلح المســـجد .

ب - ان رسالة المسجد فى تدهور مستمر نتيجة غفلتنا وانشغالنا بالزائف مـــن حضارة العصر الحديث .

جـ - ان أعدائنا يستغلون خلو الساحة من رسالة المسجد الصحيحة فيملأون هـــذا الفراغ بالتبشير لافكارهم الموجهة أساسا ضد الاسلام .

د - خرجنا من القرن الرابع عشر الملىء بالمفاجآت العلمية والسياسية واسلامنا

بحمد الله صحيح وقرآننا صحيح لم يسقط منه حرف واحد " كان ذلك بسبب التفافنا حول المسجد والمسجد يعنى التعليم الدينى المنظم المستمر" وها نحن على أول عتبات القرن الخامس عشر ذى التحديات الكبرى وهذا يفرض علينا تبعات جساما نحو ايجاد صيغة تجعل تعليم أبنائنا الاسلام مستمرا ومحببا وسط كل هذه التيارات المعاكسة .

مقترحات :

١- العمل على اقامة نظام تعليمى دينى متكامل فى جميع الدول الاسلامية الى جانب النظام التعليمى المدنى القائم حاليا وأن يكون سلم هذا التعليم على النحو التالى :-

أ - الخلوة وتبنى على نظام الفصول وليس على نظام الفصل الواحد الا فى الاماكن ذات الكثافة السكانية القليلة ويكون التدرج فيها من فصل الى آخر بالامتحان كالمدرسة النظامية تماما .

ب - يراعى فى الخلوة سن القبول للطلاب وآرى أن يكون ذلك من سن السابعة كما أرى مدة الدراسة فى الخلوة ٨ سنوات ليتمكن الطالب من حفظ القرآن وتجويده ويأخذ قدرا من علوم الدين وطرفا من العلوم الحديثة المبسطة .

ج - بعد الحفظ يمنح الطالب شهادة رسمية على ذلك ويكون قد أكمل المرحلة الاولية .

د - بعدها ينتقل الى " المعهد الدينى " ليتلقى علوم الشريعة واللغة بتوسع مع قدر من العلوم الحديثة بحيث لا ترجح كفتها على العلوم الدينية التى هى الاساس .

هـ - واقترح أن يراعى تشعيبهم على حسب ميولهم فى السنة النهائية الى ثلاث شعب : شريعة / ولغة / ووعظ وارشاد ثم ينتقلون الى" الجامعة الاسلامية " وهذه يكون بها ثلاث كليات : كلية الشريعة ،وكلية اللغة العربية وكلية الوعظ والارشاد وبعد التخرج يتجه خريجو الشريعة واللغة الى التدريس وخريجو الوعظ والارشاد الى المساجد والدعوة . هذا ويجب أن يكون حفظ القرآن شرطا لامحيد عنه للنجاح فى جميع المراحل.

٢- ولتكون الخلوة محبوبه من طلابها أقترح أن يكون بناؤها ما أمكن جميلا ولايكون أدنى من بناء المدرسة على أى حال وان تكون دائما الى جانب المسجد.

٣- من باب التشجيع ينبغى أن تحتفل الدولة بحفاظ القرآن سنويا وتقدم لهم الجوائز السخية وتبرز أهميتهم بوساطة وسائل الاعلام .

٤- يلزم أن يكون لخريجى هذا النظام ميزة واضحة على غيرهم من بقية الخريجين فى فروع المعرفة المختلفة فى وضعهم الوظيفى وهذا أمر مهم للغاية لان الناس

لم يعزفوا عن هذا التعليم الا بعد ماتبين لهم أن هذا الطريق لايفضي بسالكه الا للبؤس والشقاء وتلك حبكة حبكها أعداء الاسلام يجب أن نعيها .

هـ- فى نظام التعليم العام يجب أن نزرع المسجد فى مناهجه لتكون علوم الشريعة واللغة العربية أساسية فى جميع المراحل وأن ترصد جوائز قيمه للمتفوقين فى هذه العلوم .

٦- واقترح أن تنشأ فى كل دولة من دول الاسلام هيئة للعلماء تكون لها كلمة مسموعة فى مجال التربية والتعليم والثقافة العامة والحكم .

لان رسالة المسجد لم تضعف الا بسبب عزله وابعاده عن المشاركة فى كل مايتصل بحياة الناس .

وختاما أرجو أن يكون قيام هذا النظام التعليمى الدينى فى جميع بلاد المسلمين هو هديتنا للاسلام فى القرن الخامس عشر .

وبالله التوفيق ،،،

د. عبدالله الشيخ البشير
المجلس الاعلى للآداب والفنون
الخرطوم - السودان

الخرطوم فى ٢٣ ربيع الثانى ١٤٠٠ هـ
١٠ مارس ١٩٨٠ م

ج.م